

المحتويات

□ هل تراجع الشعور القومي العربي؟

- ٧ قراءة سوسولوجية في آراء طلاب جامعة الكويت علي أسعد وطفة
- تتمثل مشكلة الدراسة في البحث عن اتجاهات الطلاب الجامعيين في الكويت نحو الوحدة العربية أو الخليجية أو الإسلامية، ومن أجل اختبار فرضية تراجع الشعور القومي العربي في معترك الظروف الحالية، التي طرحها البعض، قام الكاتب بإجراء دراسة استطلاعية في مجرى العام الدراسي ٢٠١٠/٢٠٠٩ على عينة من ٤٩٩ طالباً وطالبة. ودلت النتائج على اتجاهات وحدوية واضحة عند الطلاب.

□ إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر:

- ٢٣ جدلية الاندماج والتنوع حسام الدين علي مجيد
- تدور هذه الدراسة حول موضوع ذي طابع إشكالي، وهو: كيفية التعامل مع واقع التنوع الثقافي واللغوي الديني، والتعدد العرقي والقومي، في مجتمعات العالم المعاصر..؟
- ينتهي المؤلف إلى التفرقة بين نوعين من سبل معالجة الإشكالية المذكورة: أ – سبل المعالجة في المجتمعات الغنية، والغربية منها بصفة خاصة، ما يطرح حلولاً قائمة على نوع من التفكيك الداخلي لبنية «الدولة – الأمة».
- ب – سبل المعالجة في دول العالم الثالث، حيث التنوع الثقافي أصيل تاريخياً ومتجذر، وتبعاً لذلك تتركز المطالب الذاتية للجماعات الثقافية على المشاركة في السلطة والتعبير عن ذاتها الثقافية.

هل تراجع الشعور القومي العربي؟ قراءة سوسولوجية في آراء طلاب جامعة الكويت

علي أسعد وطفة(*)

أستاذ علم الاجتماع التربوي، جامعة الكويت.

مقدمة

تشهد المجتمعات الإنسانية المعاصرة حضوراً مكثفاً للتجارب الاتحادية الفدرالية، وذلك بتأثير كبير وصاعق من معطيات حداثة ليبرالية متقدمة جديدة. وتبرز هذه الميول الوحدوية من لدن الدول والشعوب تحت مطارق الحاجات التنموية والاقتصادية، التي تقتضي إيجاد نوع من التكتلات الفدرالية والإقليمية الحيوية للاستمرار في الوجود والحضور في عالم ليبرالي جديد لا مكان فيه إلا للأمم القوية، أو للتكتلات السياسية الاقتصادية الكبرى، التي تفرض حضورها المكين في عالم السياسة والاقتصاد.

وعلى خلاف ما يجري في العالم من ممارسات وتوجهات اتحادية، فإن البلدان العربية تجذّف ضد التيار وخارجه، حيث إنها تعيش حالة فريدة من التجزئة والتصادم والتنافر في تاريخ الحياة السياسية؛ فالمسافة السياسية والاقتصادية والثقافية الفاصلة تتباعد وتتعاظم بين هذه البلدان الاثنى عشر (دول جامعة الدول العربية) دون توقف، على الرغم من حضور مظفر للروابط القومية والتاريخية التي تتمثل في اللغة الواحدة والتاريخ الواحد والثقافة الواحدة والمصالح الواحدة.

فالمواطن العربي يشعر اليوم بالحرقة والمرارة في وطن مجزأ مقسم تعتريه الصراعات والتناقضات، التي أخرجت هذه الأمة من مسارها الحضاري إلى المراتب الدنيا في الوجود. وهو يواجه اليوم صعوبات يندر مثيلها عندما يريد التنقل في رحاب هذا الوطن الكبير، وتكون الصعوبات أكبر عندما يحاول العيش والعمل والاستقرار أو الدراسة في أي قطر عربي آخر، حيث يواجه التصلب والعنت والقسوة والتمييز إلى حد الشعور بالقهر والإحساس بالاغتراب. وبالمقارنة، فإن هذا الأمر أسهل ألف مرة عندما يغادر إلى بلدان

أجنبية أخرى ليعيش فيها، إذ يجد نفسه في أوضاع إنسانية وأخلاقية أفضل وأرحم.

من ينظر في صفحات الصورة المساوية لوضعية التخلف والتجزئة والتبعية في الوطن العربي، سيجد بالتأكيد أرسيفاً متدفقاً بالانتكاسات التاريخية والثقافية، التي قصمت مسيرة الوحدة وكسرت قواعد التضامن والتقدم في مختلف المستويات والاتجاهات.

فالواقع المنشطر الذي يعيشه العرب، والمتمثل في غياب الحدود الدنيا للتضامن بين الأقطار العربية، يعكس نسقاً من العوامل والمتغيرات الداخلية والخارجية التي اجتمعت لتفعل فعلها في تفكيك الجسد الواحد، وتغيب الإرادة المشتركة، وإضعاف مقومات الوجود الإنساني للمجتمعات العربية. وقد وجدت هذه الوضعية المساوية صداها لدى عدد كبير من المثقفين العرب الذين راهنوا بقوة على تصدع المشاعر القومية، وتآكل حماسة الجماهير العربية المعهودة للقيم

ما زال عدد كبير من المثقفين العرب يراهن حتى اليوم وبقوة على تصدع المشاعر القومية وانهيائها، ويؤكد تآكل الحماسة القومية للجماهير العربية وتراجع طموحاتها الوحودية.

والطموحات القومية، خاصة في ظل تخاذل الأنظمة العربية الدائم إزاء القضايا القومية والوطنية على مختلف الأصعدة وفي مختلف الأزمنة^(١).

تأسيساً على معطيات هذا الواقع المنكسر، افترض عدد كبير من المثقفين العرب أن المشاعر القومية العربية تراجعت، وأن الحلم الوحودي سقط على أعتاب الحطام القومي وتداعى على وقع الإخفاقات المريرة للتجارب الوحودية والتضامنية العربية، التي منيت بالإخفاق والفشل في جملتها وتفصيلها.

ولقد جاء تراجع المد القومي والشعور بالانتماء العروبي - كما يعتقد كثير من المفكرين العرب - انعكاساً للظروف التاريخية والاجتماعية التراجيدية للحياة السياسية العربية في مختلف تجلياتها وملابساتها. فالوعي العربي المعاصر (كما تفيد الكتابات الجارية) يعاني اهتزاز المشاعر القومية وانحسارها، وذلك تأسيساً على منظومة من الأحداث السياسية والاجتماعية، التي شهدتها المنطقة العربية، والمتمثلة في إخفاق الأنظمة العربية في تحقيق طموحات المجتمعات العربية في الوحدة والتنمية والتحرير والتقدم^(٢).

فعدد كبير من المثقفين العرب ما زال يراهن حتى اليوم، وبقوة، على تصدع المشاعر القومية وانهيائها، ويؤكد تآكل الحماسة القومية للجماهير العربية وتراجع طموحاتها الوحودية. وهذه فرضية تركز على خلفية الإخفاق الكبير الذي منيت به القوى السياسية

(١) علي أسعد وطفة، «الأبعاد القومية والاجتماعية للطموحات السياسية عند عينة من طلاب جامعة دمشق»، عالم الفكر (الكويت)، السنة ٢٩، العدد ٢ (تشرين الأول/أكتوبر - كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠)، ص ٢٠٦ - ٢٤٧.

(٢) انظر: حازم صاغية، وداع العروبة (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٩).

القومية في الوطن العربي، وذلك بعد وصولها إلى السلطة منذ بداية النصف الثاني للقرن العشرين. فالأنظمة العربية القائمة التي رفعت الشعارات القومية، ووصلت إلى السلطة على عجلات الدفع القومي، عملت، وعلى خلاف ما هو مطلوب منها، على تعزيز واقع التجزئة والقطرية بين البلدان العربية، فأخفقت في مختلف مجالات النشاط السياسي القومي والاجتماعي والإنساني^(٣). وكان لذلك وقع مأساوي في نفوس الجماهير العربية التي بدأت تبحث عن قوى سياسية جديدة يمكنها أن تكون أكثر مصداقية في النضال من أجل تحقيق الطموحات الاجتماعية والقومية، وبدأت تتوجس خيفة من دعاة الفكر القومي العربي ومن قواه السياسية القائمة على سدة الحكم أو هذه التي تناضل من أجل الحقيقة القومية.

وإزاء هذه الحقائق، بدأ كثير من المفكرين والكتّاب يؤكد تراجع المشاعر القومية الكبير عند الناشئة العربية التي عاشت في أجواء النزعات الإقليمية الضيقة، ورضعت حليب الإحساس القطري ولبن الولاءات الضيقة المحدودة^(٤).

يصف خلدون النقيب هذه الحالة من التراجع في المشاعر القومية للأجيال العربية في دراسة له حول الثورة الصامتة، فيقول: «إن الجيل الذي يعيش في ظل هذه الثورة الصامتة فقد الثقة في الدولة القومية المبنية على فكرة الأمة ذات الخصائص المشتركة، ولذلك فهو يوظف تعليمه في إنكفاء النعرات القبلية والطائفية - تلك هي الجماعات التي يحس في كنفها بالأمانة بعلاقتها الوشائحية (من حيث إن الوشيجة هي صلة الرحم العميقة الجذور في اللاوعي الجمعي)»^(٥).

ومما لا شك فيه أن أحداً لا يستطيع أن ينكر وقع هذه التحولات والانتكاسات وتأثيرها الكبير في اهتزاز مشاعر الانتماء القومي، حيث عملت بالفعل على إضعاف أحلام الوحدة أو الاتحاد، حتى في ظل تنامي النزعات الكيانية القطرية الصغرى، ولا سيما في جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية.

ولا نعرف إذا كان هناك مبالغة في تصورات بعض الكتّاب العرب حول سقوط المشاعر القومية وتراجع القيم العروبية، حيث يقول أحدهم: «في هذه الظروف التي تمرّ بها المنطقة العربية، تزداد مشاعر اليأس بين العرب، وتصل ببعضهم إلى حدّ البراءة من إعلان انتمائهم العربي، وتحميل العروبة مسؤولية تردّي أوضاعهم»^(٦). وفي هذا السياق يقول آخر: «بعد

(٣) علي أسعد وطفة، «السياسات التربوية في الوطن العربي: شعارات قومية وممارسات قطرية»، الفكر العربي، السنة ١٨، العدد ٩٠ (خريف ١٩٩٧).

(٤) أحمد برقاولي، «المشروع القومي وإشكالية الدولة القطرية»، إبداع، العدد ١١ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٨)، ص ٧ - ١٥.

(٥) خلدون حسن النقيب، المشكل التربوي والثورة الصامتة: دراسة في سوسيولوجية الثقافة، سلسلة الدراسات العلمية الموسمية المتخصصة؛ ١٩ (الكويت: الجمعية الكويتية لتقديم الطفولة العربية، ١٩٩٣)، ص ١٣ و١٥.

(٦) صبحي غندور، «العروبة والمتغيرات القادمة»، أخبار الشرق، ٢٦/٢/٢٠٠٩.

النكسات المتتالية التي عرفها المد العروبي القومي، مروراً بما يعرف بهزيمة ٦٧ الشهيرة، وصولاً إلى نكسة العراق الدموية، أصبح الوعي الإنساني بالهوية والانتماء في الدول غير العربية يتجذر ويتجدد بقوة من خلال مجموعة من المبادرات الفردية والجماعية الداعية إلى التخلي عن العروبة باعتبارها فكراً هداماً ودخيلاً، يمتهن ويؤمن بالوصاية والهيمنة والاستعمار، ونحر لذيذ ومستمر للهويات والقوميات غير العربية التي لم تجن منه الشعوب التي مارسته سوى الولايات والخراب، وتتجلى هذه المبادرات من خلال الدعوة إلى تأسيس إطارات ثقافية وسياسية وحقوقية، والانخراط الصريح الداعي بالعودة إلى الأصل والهويات الحقيقية لهذه الشعوب»^(٧).

وتأخذ لهجة الخطاب الراديكالي المفارق للعروبة رنيناً أكبر ودويماً أعمق في تصور بعض آخر من الكتّاب والمفكرين العرب، حيث يقول أسامة أنور عكاشة في هذا الصدد: «مصر مصرية وليست عربية، وأن الأمة المصرية هي المجموعة البشرية التي وجدت في هذا المكان من قبل العصور التاريخية»^(٨). وفي هذا المسار نفسه يقول سامي حرك في مقالة له تحت عنوان «رداً على النكساويين: نعم.. مصر ليست عربية»: العرب إخواننا وأخواتنا، جيراننا وجاراتنا، أصدقاءنا وصديقاتنا، هموم كثيرة وأحلام عديدة ومصالح مختلفة بيننا مشتركة، لكننا مصريون، وهم عرب، لا نريدهم أن يقولوا عن أنفسهم مصريين، ولا نقبل أن يقال عنا أننا عرب !!!^(٩). ويصل هذا الرفض الراديكالي المعادي للقومية العربية مداه الأقصى عند أحد الكتّاب العرب حيث يقول: «العالم العربي والوطن العربي.. كلمات عنصرية يروج لها أعداء المسلمين والإسلام من صوفيين واشتراكيين ومتطرفين وقوميين وغربيين لتقسيم المسلمين وإلهائهم في حروب قومية بدل توحيدهم في أمة إسلامية قد تكون خطراً على الغرب»^(١٠).

أولاً: النكوص القومي في الكويت؟

يشكل الخليج العربي موطن العروبة ومهدا ودرتها ومعقل انطلاقها، حيث يفترض أن تكون العروبة أصيلة وفاعلة في هذه المنطقة. ولا ريب في ذلك؛ فهي مهبط القرآن الكريم ومنطلق الوجود العربي الإسلامي.

إن الحديث عن ثورة في المفاهيم والتصورات، وعن تراجع في المشاعر القومية في منطقة الخليج العربي، حقيقة قد لا تتنافى مع أهمية الأحداث التي مرّت بها المنطقة العربية، ولا سيما في مرحلة ما يسمى أزمة الخليج الأولى (الحرب العراقية - الإيرانية)، وأزمة الخليج الثانية (الغزو العراقي للكويت)، وأزمة الخليج الثالثة (الاحتلال الأمريكي للعراق)، التي شكلت أحد أهم الأحداث التاريخية المعاصرة في الوطن العربي والعالم، إذ أدت

(٧) سعيد بلغربي، «مصريون: نحن لسنا عرباً، والعربية ليست لغتنا الأم»، موقع دروب الإلكتروني، ٨

< <http://www.dorob.com/?p=23717> >.

كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧،

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه.

إلى إحداث تحولات جذرية في الكثير من المفاهيم والقيم السائدة في الثقافة السياسية العربية شملت البعد القومي، والنظام الأمني العربي، ومفهوم أمن الخليج، وجدوى التضامن العربي، ومصداقية التحالفات الإقليمية. وترتسم هذه التحولات في تراجع المد القومي وانحساره، وفي اهتزاز قيم العروبة ومعاني الوحدة العربية، وغيرها من المفاهيم والقيم المتأصلة في الثقافة السياسية العربية»^(١١).

فالغزو العراق للكويت، كما يرى عدد من المفكرين العرب، أضعف الزخم الروحي والمعنوي للقومية العربية وبدد قدرتها الهائلة على تحريك الوجدان العربي والشارع العربي بعامته، وفي الكويت على نحو خاص. وهذا ما ذهب إليه في حينه المفكر الكويتي خلدون النقيب، وذهب إليه أيضاً المفكر العراقي محمد جواد رضا الذي وصف هذه الحالة بقوله إن «الغزو العراقي للكويت ألقى ذلك الاكتفاء الروحي الذي كانت توفره فكرة القومية العربية، وخلق فراغاً روحياً»^(١٢).

يجب ألا ننسى أن اهتزاز الوعي القومي لا يعني سقوطه أبداً، لأن هبوب عواصف قوية لا تعني موت النسائم إلى الأبد.

فالمعاناة التاريخية التي خبرها شعب الكويت تحت تأثير الاجتياح العراقي كبيرة جداً، ولا يمكن لأي كان أن ينكر المدى الكبير لتأثير هذه الأزمة في الوعي القومي في الكويت والخليج العربي. ومع ذلك كله، يجب ألا ننسى أن اهتزاز الوعي القومي لا يعني سقوطه أبداً، لأن هبوب

عواصف قوية لا تعني موت النسائم إلى الأبد. فالوعي القومي الذي وجد في الإنسان الكويتي حاضناً تاريخياً عبر مئات السنين لا يمكنه أن يتبدد في لحظة تاريخية واحدة، مرة واحدة، دفعة واحدة إلى الأبد. فالكويت تنتمي إلى المحيط الثقافي العربي تاريخياً وإنسانياً، ولا يمكن للإنسان في الكويت أن يجهل أهمية هذه الحقيقة ودورها التاريخي. والانتماء الوطني والقومي، كما يقول أحد الكتاب العرب، «ليس ثياباً نلبسها ونخلعها حين نشاء، بل هو جلد جسمنا الذي لا نستطيع تغييره مهما استخدمنا من أدوات مصطنعة. وسواء رضينا بذلك أم لم نرض به، فتلك طبيعة قانون التطور الاجتماعي الإنساني الذي ينتقل بالناس من مراحل الأسر والعشائر والقبائل إلى مرحلة الأوطان والشعوب والأمم»^(١٣).

ومع شدة الصدمة التي تعرض لها المجتمع الكويتي في الحرب الخليجية الثانية، وأدت، كما يفترض المنظرون، إلى تراجع الفكر القومي والمشاعر الوحدوية في المجتمع الكويتي، فإن هذا لا يغير من واقع يجار أمام العين وهو أن الكيان القومي يشكل طاقة حيوية لمواجهة التحديات

(١١) جمال السويدي وشملان العيسى، «اتجاهات طلبة جامعة الإمارات العربية المتحدة حول أزمة الخليج»، مجلة العلوم الاجتماعية (جامعة الكويت)، السنة ١٩، العدد ٣ (١٩٩١).

(١٢) محمد جواد رضا، «العرب في القرن الحادي والعشرين: تربية ماضوية وتحديات غير قابلة للتنبؤ»، المستقبل العربي، السنة ٢٠، العدد ٢٣٠ (نيسان/أبريل ١٩٩٨)، ص ٤٨.

(١٣) غندور، «العروبة والمتغيرات القادمة».

الحضارية التي تفرضها الموجة الطاغية للعولمة الاقتصادية والثقافية. فالاتجاهات الوحدوية أو التضامنية بين أبناء الأمة الواحدة ليست ترفاً فكرياً أو ثقافياً، بل هي إرهاصات سياسية واجتماعية واقتصادية تعبر عن واقع اجتماعي وسياسي وتفرضها تحديات سياسية واقتصادية كبيرة، وهذا يعني بالضرورة أن التوجهات الوحدوية في أية صيغة تطرح هي تعبير عن احتياجات استراتيجية ملحة تفرضها قوانين الضرورة في مجال الحياة السياسية والاقتصادية.

وتأسيساً على ما تقدم، يمكن القول إن الوعي الوحدوي في المجتمع الكويتي لا يمكنه أن ينفصل عن التحديات التاريخية والاجتماعية التي يعيشها الإنسان في هذا المجتمع، فالاتجاهات الوحدوية في الكويت تفرضها عوامل تاريخية واستراتيجية وجودية، وهي ليست بأي حال من الأحوال مجرد قناعات ترفيحية تقتضيها مظاهر الحياة الاجتماعية وكمالياتها.

فالإنسان في المجتمع الكويتي لا يمكنه أن ينفصل عن الواقع الذي يعيشه أو خارج الوعي المتكامل بأبعاد هذا الواقع ومتطلباته وتحدياته، وبالتالي فإن الأزمات السياسية لن تستطيع، مهما تبلغ شدتها، أن تبعد آمانيات الشعب الكويتي وآماله وطموحاته في الوحدة العربية أو في التضامن العربي من أي نوع كان. وهنا يجب علينا أن نأخذ في عين الاعتبار أن الوعي الاجتماعي في المجتمع يفرضه حركة التاريخ والأجيال، وبالتالي فإن عمق هذا الوعي يترسب في العقل الباطن للأمة والشعب، وما ترسخ في أعماق الأمم وتأصل في وجدانها ورسخ في لاشعورها عبر دورات الزمن والحضارة لا يمكنه أن يتبدد تحت تأثير أزمة سياسية أو عسكرية عابرة، مهما تكن أهمية هذه الأزمة وخطورتها.

ثانياً: إشكالية الدراسة

لقد أسهب المفكرون والمنظرون العرب في تقصي أبعاد وحدود واقع الأمة المفكك والمجزأ، وأبدعوا نظريات متدفقة في شرح وتفسير عوامل التخلف والتجزئة والنهضة، بحيث تبدو كل إضافة إلى ما قالوه وكتبوه نوعاً من الاجترار المدرسي الممل الساذج. ولذلك، فإننا لن نقع في شرك البحث في هذه العوامل، أو في فخ التنظير الاجتراري الذي يعرفه جل المثقفين العرب؛ إذ ليس من أهدافنا في هذه الدراسة تنظير أو تفكير في إبداع النظريات وصقل المفاهيم، بل تكمن مهمتنا في تناول سوسيولوجي محدد لتطورات هذا الواقع عبر مشاعر واتجاهات عيّنات من الطلبة الجامعيين في الكويت نحو الوحدة العربية والخليجية والإسلامية. وهدف دراستنا هذه هو البحث في تقاطعات وتدرجات الشعور الوحدوي مع نسق من الأحداث الزمنية الانتكاسية (الحروب الثلاث في الخليج؛ الغزو الإسرائيلي المتكرر للبنان؛ المجازر الإسرائيلية في غزة) التي منيت بها الشعوب العربية المعاصرة.

لقد أثارت الأحداث الجسام التي شهدتها المجتمع الكويتي إبان الغزو العراقي وما بعده تساؤلات كبرى حول مستقبل التعاون الخليجي والتضامن العربي في مرحلة ما بعد الأزمة. وشهد المجتمع الكويتي عدداً من الدراسات في إثر تحرير الكويت للتعرف إلى اتجاهات الرأي العام نحو مفاهيم التعاون الخليجي والوحدة العربية. وقد بيّنت هذه الدراسات وجود اتجاه رافض لمقولات التضامن العربي والوحدة العربية والتكامل العربي، وأكدت في هذا السياق أن

فكرة الوحدة العربية فقدت مكانها الذي شغلته في مقدمة الأولويات السياسية والاجتماعية^(١٤).

أما اليوم، وبعد مرور سبعة عشر عاماً على أحداث الأزمة الأولى (الغزو العراقي)، وبعد مرور ستة أعوام تقريباً على الأزمة الثانية (الاحتلال الأمريكي للعراق)، بقي مشروعاً أن يتساءل الباحثون والمفكرون عن التأثير الذي تركته هذه الأحداث في الوعي القومي العربي، وعن التحولات في المواقف والاتجاهات نحو القيم الوجدية والقومية عند شرائح المجتمع الكويتي المعاصر. فسبعة عشر عاماً كافية، في رأينا، لعودة التوازن في المشاعر القومية المصدومة، ومن المفترض ألا يكون لحدث تاريخي - مهما يكن كبيراً ومهما تكن آثاره مؤلمة وفاضحة - أن يغير التكوينات التاريخية للذهنية العربية، التي تشكلت في بوتقة من التجارب والخبرات التي عاشها الشعب العربي الكويتي منذ مئات السنين.

لقد لاحظنا من خلال الحياة الجامعية وخبرتنا التدريسية التي جمعناها بالطلاب الجامعيين في جامعة الكويت عبر سنوات خلت، مؤشرات عفوية تنطق عن توجهات قومية عربية كبيرة عبر مقولات الطلاب ومواقفهم وأحاديثهم في مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية، ولا سيما في ما يتعلق بالشأن الفلسطيني، ومعاهدات السلام، والتطبيع مع إسرائيل، والأحداث العربية والإسلامية. ولاحظنا دائماً وأبداً أن هؤلاء الطلاب كثيراً ما يغضبون إزاء أي نقد أو أية ملاحظة نقدية توجه إلى العرب والعروبة. وقد بينت ملاحظتنا بصورة مستمرة وجود حالة من الاعتزاز القومي والإسلامي لدى الطلاب الكويتيين في رحاب جامعتهم. وعبر هذه الملاحظات وغيرها، ثارت لدينا منظومة من التساؤلات السوسولوجية التي تتصل باتجاهات الوعي القومي والإقليمي عند طلاب الجامعة، كما أنها أثارت بواعث البحث العلمي لتقصي جوانب هذه المسألة ودراسة عواملها ومتغيراتها.

وإذا كانت المنطقة العربية شهدت وتشهد تحولات سياسية واجتماعية عميقة، كما بينا أعلاه، فإن السؤال السوسولوجي الذي يطرح نفسه هو: كيف تنعكس هذه التغيرات في منظومة القيم السياسية والاجتماعية السائدة؟ والسؤال الأهم هو: هل تبددت المشاعر القومية وتلاشت فعلياً تحت صدمة المعاناة الوجدية للشعب الكويتي، كما يلح بعض المفكرين العرب، أم أنها ما زالت قوية رغم النوازل والمصائب والتصدعات التاريخية؟ ومن هذا السؤال إلى نسق آخر من التساؤلات: ما طبيعة وحدود المشاعر الوجدية عند الطلبة الجامعيين؟ هل ما زالت هناك بقية للمشاعر القومية العربية؟ وما هي البدائل الوجدية الممكنة؟ هل هي إسلامية أم خليجية؟ أم قومية عربية؟ وما وشائج العلاقة بين هذه البدائل الوجدية والتضامنية؟

لقد سبق لنا إجراء دراسة ميدانية حول مواقف طلاب جامعة الكويت من الوحدة العربية والتضامن الخليجي، وذلك تحت عنوان «بنية الوعي الوجدوي واتجاهاته في عام ٢٠٠٠»، أي بعد مرور حوالي عشرة أعوام على الغزو العراقي للكويت. وتمّ تفسير ما حسبناه حينها تراجعاً

في الشعور القومي بردود فعل إزاء الغزو العراقي، حيث كان الإحساس بالغبن والألم والمعاناة لدى طلاب الجامعة كبيراً حينذاك^(١٥). والآن، وبعد الغزو الأمريكي للعراق، وبعد مضي سبعة أعوام عجاف، ثمة تغيرات كبيرة في بنية الوعي وفي نسق المشاعر القومية؛ فالأحداث الدامية في العراق تحرك في الأعماق والمشاعر تأثيراً كبيراً يثير قلق الهوية والوجود في المنطقة. وقد تنامي هذا القلق الوجودي بعد مرور حوالي سبعة أعوام على سقوط العاصمة العراقية، والأحداث الجسام التي مرّ بها الشعب العراقي من حروب أهلية واقتتال وفتن طائفية. والسؤال المركزي لهذه الدراسة يتمثل في البحث عن اتجاهات الطلاب الجامعيين نحو الوحدة العربية أو الخليجية أو الإسلامية، في ظل الأحداث المريعة التي تمرّ بها المنطقة العربية في الخليج العربي.

تأسيساً على الإشكالية التي حددناها أعلاه، يمكن أن نطرح منظومة من الأسئلة المنهجية الإجرائية التي تحدد الإطار العام لتوجهات الدراسة، وهي:

– هل تراجع الشعور القومي العربي حقاً لدى طلاب جامعة الكويت؟

– ما اتجاهات طلاب جامعة الكويت نحو الوحدة الخليجية؟

– ما اتجاهات طلاب جامعة الكويت نحو الوحدة العربية؟

– ما اتجاهات طلاب جامعة الكويت نحو الوحدة الإسلامية؟

– هل هناك تغيرات في هذه الاتجاهات تحت تأثير الأحداث الجديدة في المنطقة، ولا سيما

الاحتلال الأمريكي للعراق في عام ٢٠٠٣؟

١ – ماذا تقول الدراسات الجارية في حقيقة التراجع والانحسار؟

شهدت الساحة العربية مجموعة من الدراسات العلمية الجادة والمهمة التي تناولت قضية الوحدة العربية، ويمكننا في هذا السياق أن نستعرض بعضاً منها:

يشار في البداية إلى الدراسة الواسعة الفريدة التي قام بها سعد الدين إبراهيم عام ١٩٧٩ بشأن اتجاهات الرأي العام نحو مسألة الوحدة. ومن النتائج المهمة لهذه الدراسة أن ٧٨ بالمئة من المبحوثين يعتقدون أن سكان الوطن العربي يكوّنون أمة واحدة، ويؤمنون بوجود كيان حضاري بشري متميز هو الوطن العربي. أما في ما يتعلق بأشكال التعاون العربي، فقد عبّر ٧٣,٣ بالمئة من أفراد عيّنة الكويت عن رغبتهم في وجود اتحاد فدرالي عربي، يقابلهم ١٩,٣ بالمئة يرغبون في وحدة اندماجية، و٧,٣ بالمئة يرغبون في التعاون من خلال التنسيق بين البلدان العربية. وجاءت الكويت هنا في المرتبة الثالثة، بعد فلسطين والأردن، من حيث تأكيد الطابع القومي^(١٦).

(١٥) سعاد مسلم الشبو وعلي أسعد وطفة، «بنية الوعي الوجودي واتجاهاته: دراسة حالة طلاب جامعة الكويت»، *المستقبل العربي*، السنة ٢٣، العدد ٢٦٤ (شباط/فبراير ٢٠٠١)، ص ٥٧ – ٨٧.

(١٦) سعد الدين إبراهيم، *اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (دراسة ميدانية)*، ط ٢

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨١).

وتجدر الإشارة إلى دراسة أحمد جمال ظاهر حول «اتجاهات التنشئة السياسية والاجتماعية في المجتمع الأردني عام ١٩٨٦»؛ إذ أجمع أفراد العينة على أن الأمة العربية تشكل أمة واحدة بسبب اللغة العربية^(١٧)، وإلى دراسة السويدي والعيسى (١٩٩١) بعنوان «اتجاهات طلبة جامعة الإمارات العربية المتحدة نحو أزمة الخليج»^(١٨)، وهي بيّنت تراجع وانحسار المد القومي، وبيّنت أيضاً أن الانتماء الديني هو العامل المحدد للهوية، حيث أعلن ٨٦ بالمئة من أفراد العينة أولوية الانتماء الديني في تحديد هويتهم، مقابل ١١ بالمئة للانتماء العربي، و١٠ بالمئة للانتماء إلى الدولة.

تدل الدراسات على ثبات المشاعر القومية وتناميها، وأن الشعور القومي لم يتراجع، بل تعرّض ربما لبعض الاهتزازات الوقتية العابرة.

وفي نتائج دراسة أخرى تم تطبيقها عام ١٩٩٢، أي بعد تحرير الكويت من الاحتلال العراقي، على النطاق المحلي الكويتي، وهي دراسة إبراهيم كرم حول اتجاهات طلاب المرحلة الثانوية في دولة الكويت نحو الوحدة العربية والتعاون الخليجي^(١٩)، تأكد الاتجاه الموجب لدى عينة البحث نحو مفهوم التعاون

الخليجي، وكذلك ارتفاع النسبة المعبرة عن الاتجاه السالب نحو مفهوم الوحدة العربية. وعلى المستوى الإحصائي، بيّنت الدراسة أن ٧٠ بالمئة من أفراد العينة يوافقون على إقامة وحدة سياسية كونفدرالية بين دول مجلس التعاون، وأن ٨٥ بالمئة منهم يوافقون على توحيد الجيوش الخليجية تحت قيادة مشتركة. وفي ما يتعلق بالوحدة العربية، وافق ٦٢,٩ بالمئة على إقامة وحدة عربية، ووافق ٦٥,٥ بالمئة على زيادة التضامن العربي.

وفي دراسة حديثة قام بها علي وطفة (١٩٩٧) بعنوان «الأبعاد القومية والاجتماعية للمطوحات السياسية لدى عينة من طلاب جامعة دمشق»، تم التطرق إلى مدى حضور المشاعر القومية في وعي الشباب الجامعي. وقد أتى تسلسل القيم بالنسق التالي: التضامن العربي، فالعدالة الاجتماعية، فكرامة الإنسان وحقوقه، ومن ثم الوحدة العربية، وإعادة الأرض المغتصبة، وتحسين الشروط الاجتماعية لحياة المواطنين، وبالتالي تحقيق التقدم الاجتماعي، وأخيراً تحقيق السلام العادل في المنطقة^(٢٠).

تتناول دراسة المشابقة والعيسى وغرايبة الاتجاهات السياسية لطلبة جامعة الكويت نحو قضايا سياسية مختلفة، ولا سيما حول الوحدة العربية والنزعات القبلية والمستقبل

(١٧) أحمد جمال ظاهر، «اتجاهات التنشئة السياسية والاجتماعية في المجتمع الأردني: دراسة ميدانية لمنظمة شمال الأردن»، مجلة العلوم الاجتماعية، السنة ١٤، العدد ٣ (١٩٨٦)، ص ٤٣ - ٧٢.

(١٨) السويدي والعيسى، «اتجاهات طلبة جامعة الإمارات العربية المتحدة حول أزمة الخليج».

(١٩) إبراهيم كرم، «اتجاهات طلاب المرحلة الثانوية في دولة الكويت نحو مفاهيم التعاون الخليجي، الوحدة العربية والتضامن الإسلامي بعد تحرير الكويت»، المجلة التربوية، العدد ٢٦ (شتاء ١٩٩٣)، ص ١٥١ - ١٩١.

(٢٠) وطفة، «الأبعاد القومية والاجتماعية للمطوحات السياسية عند عينة من طلاب جامعة دمشق»،

العربي. وقد أُجريت هذه الدراسة بين عامي ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣ على عينة عشوائية بلغت ٣٥٥ طالباً وطالبة في جامعة الكويت. وأفاد ٧٧,٤ بالمئة من أفراد العينة بأن الوحدة العربية ضرورة من ضرورات مواجهة التحديات المصرية للدولة والمجتمع، وأعلن ٦٤,٨ بالمئة تأييدهم للوحدة العربية في المستقبل، ووافق ٦٩,٥ بالمئة على تحقيق الوحدة الاندماجية مع دول الخليج، ومن ثم أبدى ٦٠,٤ بالمئة أن القبليّة تشكل عقبة أمام الديمقراطية في الكويت^(٢١).

ويمكن الإشارة أيضاً إلى دراسة علي وطفة حول بنية الوعي الوحدوي لدى طلاب جامعة الكويت في عام ٢٠٠٣. وقد أُجريت هذه الدراسة على عينة بلغت ١٨٠ طالباً وطالبة من طلاب الجامعة، وكان هدفها تقصي اتجاهات الطلاب نحو قيم الوحدة العربية والتضامن العربي والتكامل الخليجي، وخرجت بنتائج أبرزها: أن ٧٦ بالمئة من الطلاب يؤيدون قيام وحدة اندماجية بين دول مجلس التعاون. وقد بيّنت الدراسة أيضاً أن أفراد العينة يقدمون الاتحاد الفدرالي بين دول الخليج على ما عداها من أشكال الوحدة والتكامل الممكنين، ويولي ذلك الوحدة الاندماجية، وعلى التوالي التعاون والتكامل تحت مظلة مجلس التعاون الخليجي. ومن جهة أخرى، بيّنت الدراسة وجود اتجاه إيجابي نحو بنود الوحدة العربية، حيث أعلن ٧٢,٢ بالمئة رغبتهم في قيام وحدة عربية في المستقبل القريب.

باختصار، تدل هذه الدراسات على ثبات المشاعر القومية وتناميها، كما تدل على أن الشعور القومي لم يتراجع بل تعرض ربما لبعض الاهتزازات الوقتية العابرة. وهنا يجب علينا أن نأخذ في عين الاعتبار أن المشاعر الوحدوية الخليجية تشكل جانباً من جوانب الشعور القومي. وقد يخطئ من يعتقد أن تنامي المشاعر العربية الخليجية أمر يتناقض مع الشعور القومي، حيث يجب أن نأخذ في الاعتبار أن الشعور الوحدوي الخليجي يدخل في بنية الشعور القومي العربي ويعاضده. وهذا الأمر قد ينسحب على المشاعر الوحدوية الإسلامية التي تُعدّ تعبيراً أشمل عن الاتجاهات الوحدوية بين الأقطار العربية؛ فأغلب المستجوبين في العينات الميدانية وفي غيرها من العينات يعتقدون أن الإسلام هو عامل من عوامل الوحدة العربية، يعاضدها ويعززها، ويعتقد كثير من الأفراد أن الدين يشكل عنصراً من عناصر القومية العربية، والطلاب هنا لا يستطيعون التمييز بين الهوية القومية والهوية الإسلامية، لأن الدين والعروبة هما بالنسبة إليهم وجهان لحقيقة وجودية وحضارية واحدة.

٢ - هل تراجع الشعور القومي أو انحسر، وفقاً للدراسات الجارية؟

مما لا شك فيه أن أغلب الدراسات التي أُجريت، لا سيما في الكويت، تشير إلى حضور البعد الوحدوي العربي والإسلامي والخليجي بمستويات مختلفة ومتعددة.

(٢١) أمين عواد المشابقة، شملان يوسف العيسى ومازن غرابية، «الاتجاهات السياسية لطلبة جامعة الكويت»،

ويمكننا، عندما نستعرض الأطر الزمنية وتتابع الأحداث، أن نلاحظ أن البُعد القومي كان حاضراً رغم كل الظروف والمحن والتحديات التي مرّت بها الأمة العربية، وأن نبرهن هذه الحقيقة من خلال الدراسات الميدانية الجارية في الكويت.

لقد بيّن سعد الدين إبراهيم في دراسته عام ١٩٧٩ أن ٧٣,٣ بالمئة من عينة الكويت أعلنت رغبتها في وجود اتحاد فدرالي عربي، يقابلها ١٩,٣ بالمئة يرغبون في وحدة اندماجية، و٧,٣ بالمئة يرغبون في التعاون من خلال التنسيق بين الأقطار العربية. وهنا جاءت الكويت في المرتبة الثالثة بعد فلسطين والأردن، من حيث تأكيد الطابع القومي^(٢٢). وقد كانت هذه النتيجة قبل الغزو العراقي للكويت.

كما بيّنت دراسة إبراهيم كرم عقب الغزو العراقي تنامي اتجاهات طلاب المرحلة الثانوية الوحدوية في دولة الكويت نحو التعاون الخليجي والتضامن الإسلامي؛ إذ أشارت إلى تراجع الاتجاهات الوحدوية العربية وليس إلى غيابها، فجاء فيها أن ٧٠ بالمئة من أفراد العينة يوافقون على إقامة وحدة سياسية كونفدرالية بين دول مجلس التعاون، وأن ٨٥ بالمئة يوافقون على توحيد الجيوش الخليجية تحت قيادة مشتركة. وفي ما يتعلق بالوحدة العربية، وافق ٦٢,٩ بالمئة على إقامة وحدة عربية، و٦٥,٥ بالمئة على زيادة التضامن العربي.

ولو تأملنا ملياً في النتائج، يمكن أن نقول إن هناك تقدماً في المشاعر القومية، لأن الميول الوحدوية الخليجية (دول مجلس التعاون) هي في جوهرها ميول قومية، وبالتالي فإن النسب التي تدل على حضور الشعور القومي العربي ليست متدنية (قراءة ٦٣ بالمئة)، وهذا شيء جيد في ظروف الغزو العراقي للكويت.

ومما لا شك فيه أن الدراسات اللاحقة أكدت تعاضم الشعور القومي العربي في الخليج، وهذا ما تؤكده دراسة المشابقة والعيسى وغرابية حول الاتجاهات السياسية لطلبة جامعة الكويت نحو قضايا سياسية مختلفة، ولا سيما حول الوحدة العربية والنزعات القبلية والمستقبل العربي. وقد أجريت هذه الدراسة، كما بيّنا سابقاً، بين عامي ٢٠٠٢ و ٢٠٠٣، وبيّنت أن ٧٧,٤ بالمئة من أفراد العينة يرون أن الوحدة العربية ضرورة من ضرورات مواجهة التحديات المصرية للدولة والمجتمع، وأعلن ٦٤,٨ بالمئة منهم تأييدهم للوحدة العربية، وهذا تطور ملحوظ في تنامي المشاعر القومية قياساً بالدراسات السابقة.

هذا التعاضم في المشاعر القومية نجده لاحقاً في دراسة علي وطفة بشأن بنية الوعي الوحدوي لدى طلاب جامعة الكويت في عام ٢٠٠٣، حيث بيّنت أن ٧٦ بالمئة من الطلاب يؤيدون قيام وحدة اندماجية بين دول مجلس التعاون. وقد أعلن ٧٢,٢ بالمئة رغبتهم في قيام وحدة عربية في المستقبل القريب.

(٢٢) إبراهيم، اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (دراسة ميدانية).

٣ - الشعور القومي لطلاب جامعة الكويت في دراسة جديدة

من أجل اختبار فرضية تراجع الشعور القومي العربي في معترك الظروف الحالية، قمنا بإجراء دراسة استطلاعية لآراء واتجاهات طلاب جامعة الكويت بخصوص الوحدة العربية والخليجية والإسلامية. وأجريت هذه الدراسة في مجرى العام الدراسي ٢٠٠٩/٢٠١٠ على عينة من ٤٩٩ طالباً وطالبة. وقد سحبت بطريقة طبقية عمدية بحيث روعي فيها أن تشمل نسباً متكافئة من الذكور والإناث ومن طلاب الكليات العلمية والكليات النظرية، فبلغت نسبة الذكور في العينة المسحوبة ٤٥,٧ بالمئة، بينما بلغت نسبة الإناث ٥٤,٣ بالمئة. وبلغت نسبة طلاب التخصصات العلمية ٧٢,٥ بالمئة مقابل ٢٧,٥ بالمئة للكليات النظرية.

وقد تضمنت استبانة الدراسة ثلاثة أسئلة أساسية هي:

- هل تتمنى أن تتحقق الوحدة الخليجية؟

- هل تتمنى أن تتحقق الوحدة العربية؟

- هل تتمنى أن تتحقق الوحدة الإسلامية؟

وكما سبق أن أشرنا، يمكن للطلاب تقديم ستة مستويات من الإجابة تبين شدة اتجاهه نحو الوحدة، حيث باستطاعته أن يجيب: موافق جداً، أو موافق، أو موافق إلى حد ما، أو معارض، أو معارض إلى حد ما، أو معارض جداً. وهذا المقياس يتدرج من أعلى درجات الموافقة إلى أدناها. وكما أشرنا أيضاً، فإن هذه الإجابات تمكننا من معرفة آراء الطلاب بصورة عامة من حيث الموافقة أو الرفض، وفقاً للطريقة النوعية، كما تمكننا من تحليل المعطيات الكمية، أي التعرف إلى شدة الاتجاه وضعفه ومقياس دلالة الفروق الإحصائية بين المتغيرات المستقلة بصورة إحصائية متناهية الدقة.

وبعد تفرغ الأسئلة وتحليلها إحصائياً، تمّ بناء الجدول الرقم (١) الذي يقدم رؤية تفصيلية لآراء الطلاب إزاء الوحدة بمستوياتها الثلاثية.

الجدول الرقم (١)

اتجاهات أفراد العينة نحو الوحدة

نص البند	موافق (بالمئة)	معارض (بالمئة)	مجموع
أتمنى أن تتحقق الوحدة الإسلامية	٩٦,٦	٣,٤	١٠٠
أتمنى أن تتحقق الوحدة الخليجية	٩٠,٣	٩,٧	١٠٠
أتمنى أن تتحقق الوحدة العربية	٨٩,٥	١٠,٥	١٠٠
المجموع	٩٢,١٢	٧,٨٨	١٠٠

يبين الجدول الرقم (١) أن الوحدة الإسلامية تحتل المرتبة الأولى في سلم الاتجاهات الوحدوية للطلاب، حيث بلغت نسبة الطلاب الذين أيدوا هذه الأمنية ٩٦,٩ بالمئة. وتحتل

الوحدة الخليجية المرتبة الثانية، بنسبة ٩٠,٣ بالمئة، ثم تأتي مرتبة الوحدة العربية في المرتبة الثالثة بنسبة ٨٩,٥ بالمئة. وقد سجل المجموع العام لاتجاهات الوحدة نسبة ٩٢,١٢ بالمئة.

تدل هذه النتائج على اتجاهات وحدوية كبيرة جداً عند الطلاب، إذ أصبحت الوحدة في أية صيغة من الصيغ حليماً كبيراً لدى الطلاب في الجامعة. ويلاحظ في هذا السياق أن التوجه الإسلامي إلى الوحدة يأخذ مكان الصدارة والأهمية، وهذا في رأينا ناجم عن حضور ثقافة إسلامية متدفقة في المجتمع الكويتي المعاصر، حيث يتم التركيز على القيم الإسلامية الوحدوية. فالطروحات السياسية الإسلامية السائدة في المجتمع الكويتي تحتل مكان السيادة، وهي تركز على أهمية الخروج الإسلامي من إشكاليات العصر وتحدياته الكبيرة.

وهنا يجب أن نأخذ في عين الاعتبار أن أفراد العينات في هذه الدراسة ينظرون إلى الإسلام بوصفه أحد المقومات الرئيسية للأمة العربية والوجود القومي، وبالتالي يرون في أغلبيتهم إمكانية قيام الوحدة العربية على أساس إسلامي. وقد لا نبالغ في التفسير إذا قلنا إن أغلبهم يرى في الوحدة العربية منطلقاً إلى وحدة الشعوب الإسلامية.

فالمشاعر الدينية تفرض نفسها بقوة في مسألة الوحدة العربية، ويعود ذلك، في رأينا، إلى عوامل مختلفة، أبرزها تنامي الحركات الأصولية الدينية، التي ترى في ماضي الأمة العربية الإسلامية صورة مشرقة للوحدة العربية الإسلامية اليوم. ويجب أن نأخذ في عين الاعتبار أيضاً تنامي حركات الإحياء الديني الإسلامي التي تعم مختلف أرجاء المعمورة وتتمركز في الوطن العربي؛ فالتوجهات السياسية الأصولية تنمو بقوة ويشدد ساعدها على أنقاض الإخفاقات السياسية الديمقراطية للأنظمة الحاكمة في الوطن العربي، حيث تشتد هذه التيارات كلما تعثرت الأنظمة الحاكمة في عملية البناء الحضاري والإنساني. فالدين هو الملاذ دائماً عندما تخفق السياسة، والله هو الملجأ الأخير عندما يخفق البشر في تحقيق أمنهم وصون وجودهم، فيكون التشبث بالدين السياسي لتجاوز المحن والأزمات الطاحنة.

وبصورة عامة، يمكن القول إن الاتجاهات الوحدوية كبيرة جداً، كما تدل النسب الإحصائية، وهذا يدل على أن الاتجاهات الوحدوية لم تفقد زخمها كما تذهب أكثر المقولات الفكرية السياسية في هذا الصدد. وفي هذا المستوى يمكن القول أيضاً إن الفكر الإسلامي السياسي يجد حضوراً كبيراً في عقول الشباب وثقافتهم أيضاً.

خاتمة: رؤية إجمالية

لقد بينت دراستنا الحالية وجود اتجاهات وحدوية إيجابية كبيرة نحو الوحدة بأشكالها المختلفة، الخليجية والعربية والإسلامية. وبلغت شدة الاتجاه العام نحو الوحدة بصورة عامة (عربية وخليجية وإسلامية) ٨٦,٨ بالمئة. وفي التفاصيل، تصدرت الوحدة الإسلامية نسق الأمنيات الوحدوية، حيث بلغت شدتها ٩٣,٢ بالمئة، تلتها الوحدة الخليجية بنسبة ٨٦,٤ بالمئة، ثم الوحدة العربية بشدة بلغت ٨٥,٩ بالمئة.

وهذه النتيجة الوحدوية تتعارض مع التصورات الفكرية لكثير من المفكرين العرب، الذين

قرأوا الفاتحة على نعش الاتجاهات الوحدوية، فأكدوا أنها آيلة إلى السقوط والانهيال تحت تأثير الظروف والأحداث والمستجدات السياسية والاقتصادية الحادثة في المنطقة.

ولا تكتمل هذه الصورة إلا برؤية زمنية لتنامي المشاعر القومية والوحدوية عند الطلاب. والسؤال الذي يمكن طرحه في هذا المقام هو: هل تأخذ هذه الاتجاهات الوحدوية طابعاً متنامياً أم أنها تميل إلى التراجع والانحسار؟ ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال الحيوي، يترتب علينا أن نقارن بين اتجاهات الطلاب الجامعيين في جامعة الكويت بين مرحلتين مختلفتين، حيث قمنا بإجراء دراسة ميدانية حول الاتجاهات الوحدوية لدى عينة من طلاب جامعة الكويت في العام الدراسي ١٩٩٩ - ٢٠٠٠، وذلك للكشف عن اتجاهات الوحدة العربية بعد مضي حوالى عقد من الزمن على الغزو العراقي للكويت^(٢٣). وقد بينت دراستنا حينها أن المشاعر القومية لدى طلاب جامعة الكويت ما زالت بخير.

والآن يمكن أن نلقي نظرة مقارنة على وضعية الاتجاهات الوحدوية بعد مضي قرابة عقد من الزمن على الدراسة الأولى، أي وفقاً لدراستنا الحالية، حيث شهدت هذه المرحلة سقوط بغداد تحت مطارق الاحتلال الأمريكي - البريطاني في عام ٢٠٠٣.

ومن أجل تقديم صورة لتطور المشاعر القومية بين المرحلتين، قمنا ببناء الجدول الرقم (٢)، حيث المقارنة بين الاتجاهات الوحدوية لطلاب جامعة الكويت بين الفترتين الزميتين.

الجدول الرقم (٢)

جدول مقارنة لشدة اتجاهات أفراد العينة

نص البند	شدة الاتجاه نحو الوحدة في العام الدراسي ٢٠٠٠/١٩٩٩	شدة الاتجاه نحو الوحدة في العام الدراسي ٢٠١٠/٢٠٠٩
أتمنى أن تتحقق الوحدة الإسلامية (نسبة مئوية)	٧٩	٩٣,٢
أتمنى أن تتحقق الوحدة الخليجية (نسبة مئوية)	٨٨	٨٦,٤
أتمنى أن تتحقق الوحدة العربية (نسبة مئوية)	٨٦	٨٥,٩

يبين الجدول المقارن الرقم (٢) أن الاتجاهات الوحدوية متقاربة في شدتها ما بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٩ في ما يتعلق بالوحدة الخليجية والوحدة العربية. والمفارقة في هذه المقارنة هي نمو كبير في الاتجاهات الوحدوية الإسلامية ما بين الفترتين، حيث ارتفعت شدة الاتجاه من ٧٩ بالمائة في عام ٢٠٠٠ إلى ٩٣,٢ بالمائة في عام ٢٠٠٩. ويمكن تفسير هذا النمو الكبير لاتجاه الطلاب نحو الوحدة الإسلامية بصعود التيارات الفكرية والسياسية الإسلامية في المنطقة، التي ترفع شعار الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي في مواجهة الغرب.

(٢٣) الشبو ووظفة، «بنية الوعي الوحدوي واتجاهاته: دراسة حالة طلاب جامعة الكويت».

ومهما يكن الأمر، فإن هناك استمراراً كبيراً في نمو الاتجاهات الوحدوية والمحافظة عليها من أي نوع كانت؛ فهناك اتجاهات وحدوية كبيرة عند الطلاب الجامعيين مستمرة ومتنامية عبر الزمان. ويتضح أيضاً عبر المباحثات الإحصائية المختلفة في هذه الدراسة تكامل الاتجاهات الوحدوية الخليجية والعربية والإسلامية في نسق واحد.

وفي الختام يمكن القول إن المطلب الوحدوي أصبح ضرورياً وحيوياً يتأصل في مشاعر الطلاب وفي قناعاتهم الفكرية والنفسية. ويبدو لنا أن هذا المطلب يترسخ تدريجياً مع الظروف والأحداث والمتغيرات العالمية التي تدفع المشاعر إلى المزيد من الاستقرار والتنامي في المطلب الوحدوي من أي نوع كان.

إن المطلب الوحدوي أصبح ضرورياً وحيوياً يتأصل في مشاعر الطلاب وفي قناعاتهم الفكرية والنفسية، وهو يترسخ تدريجياً مع الظروف والأحداث والمتغيرات العالمية.

لقد أعلن طلابنا مطلباً سياسياً إسلامياً للوحدة، وهو مطلب، كما يبدو لنا، ميتافيزيقياً لا يمكن تحقيقه أو حتى التفكير فيه عقلانياً؛ إذ ولّى عصر الإمبراطوريات الدينية. ومع أن مطلب الوحدة العربية قد يبدو مشروعاً اليوم، فإن الظروف التاريخية جعلته أشبه بالمستحيل. ورغم الاستحالة الميتافيزيقية للوحدة الإسلامية والاستحالة الواقعية للوحدة العربية، فإن

اتجاهات الطلاب نحو وحدتين تعبير مكثف عن حلم كبير تجاوزه ربما الواقع المسائي للأوضاع العربية والإسلامية. ويمكننا في النهاية أن نردد القول، تعبيراً عن هذه الاستحالة، بأن الوطن «وطن تتحرق شعوبه إلى الوحدة ولكن أنظمتها تتركس الانفصال، وطن تتشوق شعوبه إلى الديمقراطية ولكن أنظمتها تتركس الاستبداد»^(٢٤). نعم فالوحدة الإسلامية يوتوبيا مفارقة لمنطق العصر، ولكن التمسك فيها تعبير عن حلم المسلمين بالقوة والحضور، حيث كانت الأمة الإسلامية في الماضي تعبيراً عن الحضارة والقوة والهوية العربية الإسلامية، والوحدة العربية كما تبدو اليوم أمر خارج منطق الواقع الذي جعل العرب دويلات وأممًا وشعوباً مسلوبة منهوية، ويبقى التفكير في الوحدة حلمًا واقعيًا يمكن أن يتجلى في صورة اتحاد فدرالي أو تضامن إسلامي.

لقد ألهبت الحرب الإيرانية - العراقية المشاعر القومية الخليجية في التسعينيات، وتراجعت هذه المشاعر على الأثر بعد الغزو العراقي للكويت، ثم عاودت الصعود بعد سقوط بغداد، الذي كان تعبيراً عن سقوط رمزي للحضارة العربية القديمة. نعم، لقد سقط صدام وسقطت معه مرحلة من مراحل الاستبداد السياسي، ولكن سقوط بغداد كان مؤلماً ومحزناً ومأساوياً بأبعاده التاريخية والإنسانية. فأحزان الشعب العراقي والذل الذي عاناه أسقطا مشاعر الأسي والغضب والحسرة في الكويت، وعاد الناس إلى طبيعتهم، فعادت مشاعرهم القومية إلى ساحة

(٢٤) المعهد التربوي للتخطيط في الكويت، «وثيقة تعليم الأمة العربية في القرن العشرين (الكارثة أو الأمل)»، التقرير التلخيصي لمشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي، تحرير سعد الدين إبراهيم، القاهرة، ١٨ - ٣٠ نيسان/أبريل ١٩٩٢.

الوعي من جديد بقوة كما تبدي الوقائع، وكما تعلن الدراسات الاجتماعية الجارية.

ويمكننا أن نقول في النهاية إن الأمل في الوحدة العربية ما زال يمتلك طاقته الحيوية بين طلاب الجامعة، كما هو الحال بين مختلف الشرائح الاجتماعية في الوطن العربي. وطلاب الجامعة يدركون الصعوبات والتحديات التي تواجه هذا المطلب التاريخي، وهم يعلقون الأمل اليوم على تحقيق اتحادات فدرالية جزئية تمهد في المستقبل لكيان عربي موحد أكثر حضوراً وقوة ومظاهر. فالرؤية إلى الوحدة العربية تكتسب مع دورة الزمن رنيناً واقعياً، وتتخلى تدريجياً عن إيقاعاتها الرومانسية والعاطفية في اتجاه بناء تصور وحدوي يقوم على معايير ومقتضيات المصالح ومطالب الحياة الاقتصادية في عصر العولمة والميديا والاتصال والشركات المتعددة الجنسيات. فالشعوب العربية تدرك اليوم أكثر من أي وقت مضى أن الوحدة العربية ليست متراساً للقوة والمنعة فحسب، بل هي أيضاً كيان يتجدد في قدرته على مواجهة الهيمنة والتسلط، ووضع الأمة العربية في مسار المواجهة الحضارية المأمولة □

صدر حديثاً

الزراعة العربية وتحديات الأمن الغذائي حالة الجزائر

د. فوزية غربي

يعتمد الكتاب، في جزء أساسي منه، على أطروحة الدكتوراه التي تقدمت بها المؤلفة تحت عنوان: «الزراعة الجزائرية بين الاكتفاء والتبعية». يبدأ الكتاب بمقاربة نظرية للأمن الغذائي والسياسات الزراعية في سياق التنمية والتنمية المستدامة، ثم يمضي في معالجة الإشكالية الأساسية المتمثلة في فحص حدود القدرة على تحقيق الاعتماد على النفس، بدرجة معينة، في مجال الغذاء، على المستوى العربي عموماً، ومستوى الجزائر خصوصاً. وهكذا تجري المؤلفة تشخيصاً موسعاً لواقع الإنتاج الزراعي ومشكلاته ومعوقاته، وللتجارة الخارجية للمنتجات الزراعية الغذائية في الجزائر، ضمن الإطار العام لمنطقة التجارة الحرة العربية الكبرى، التي انضمت إليها الجزائر في مطلع ٢٠٠٩.

ويصل الكتاب في النهاية إلى استنتاج مهم: إن تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي الغذائي على المستوى العربي العام، أمر غير مستحيل، إذا تضافرت جهود البلدان العربية حقاً فيما بينها



مركز دراسات الوحدة العربية

الزراعة العربية
وتحديات الأمن الغذائي
حالة الجزائر

الدكتورة فوزية غربي

٣٦٧ صفحة

الثمن: ١٥ دولاراً

أو ما يعادلها